مي الصايغ

السرطان

حولي أقمار ونجوم وغدٌ
يوشك أن يصحبني الغيمُ إليهْ
حولي أسماءٌ وفراشاتٌ
وطيورٌ تتدافع نحو يديّ
أُومض مثل ضياء
لا يُلقيني الوقتُ على أدراج الغيبِ
يتوه إليّ.
لكنّ الأرض بكل زنابقها وسنابلها
وعوالمها، تتفحمّ بين يديْ
كرةٌ سوداء بلا أزمنةٍ
لا يملكها شجرٌ أو أسماء
أو حلم يرقى بمواعيد البرقِ
إلى ترفٍ منسوجٍ
بالأجناس السوداء البيضاءِ
على مسرحها العلوي.
كرةٌ لا ترفل زهواً بين الأفلاكِ
فما من فلكٍ ينتحر الآن بغبطةِ مجنونٍ
وهو يصيح بغير قناعٍ:
ابتهجي ديمونا...
وليسقط مطر الأحماضِ رذاذاً
من شرنوبل حتى ديمونا.. ديمونا

أتلو القمم الكبرى
حتى لا أنتهكَ الحُرُماتْ
كيف أضاء البدر جميلاً
بعد جسارة مجد النّاسِ
وظلّ جميلاً كالأيام الأولى
لم يتهاو قيد صهيلْ

أتلو فرحي... كيف أضاء الكونُ
بنعمة مجد العقل سُموّ الأفلاكِ
وجاس دروبَ الشَمسِ يفتّشُ
عن أكوانٍ خلف الكونِ
وقاس أجنّة أفلاكٍ
ونجومٍ ما زالت ترضع من ألوان
الفجرْ

هللّتُ لروّاد مصبّ النّورِ
هتفتُ «ترشكوفا» قطعة عمري
وغسلتُ الصُّبحَ، طيور البحرِ بلون
العيدِ
أطلقتُ حساسين ربيع العمر إليها
واستقرأتُ نجوم الليل بنبض القلبْ

وحدوْتُ زوابعها
وجعلتُ الحصّادين يلمّون مناجلهم
أملاً بحصاد الحلمْ
نسجوا أسماءً.. قطعاً من أرواحٍ
فرحاً بوصول اللهْ...
لكنّ الله تعالى...
وانفرط الفُلكُ.. قلادة ماسٍ
ينثرها غيبٌ لا شطآن لديهِ
لتجلو بعض فواجعنا
أو تمسح عن صبحٍ مذعور وجعاً
وتبرعم ليل النار بطين الأرضْ
فلعلّ سنابل أخرى، تنتظر الأمطارَ
لترفع زانتها في الريحْ.

أجري نحو الأسماء الحلوةِ
أغسلها... أغسل خضرتها
وألمُّ الأقمار المهدورة بين غصون
الضوءِ
رضاباً، تفاحاً، برقوقاً، عنباً...
أنضحها بالماء المشبّع موتاً..
أحمي عالمَها المغلقَ بين طيورٍ
تشرب ماءَ ينابيع الموتِ
وتغسلُ ريشاً محموماً

فوق شواطئها

وتصيخ السّمع إلى آلهةٍ فوق مسارح علم العالمْ

وتخرُّ لغبطتها.. مرحى.. مرحى.. مرحى

ما دامت فئرانُ العلم ستعطي بشراً مسخاً

والقطعان تعود لعالمها الوحشيّ

في غيبوبة حفلٍ مفتونٍ بالنهب الهادئْ

ننسى الكونَ المفطور على جنح فراشهْ.

فاصطفقي يا أغصان الوطن المقتولِ

يفيضُ غنىً لا يُشبع أهلاً

لا يُطعم خبزاً

نشربُ.. أو يشربنا.. ذوب معادن لا نعرفها

جهلاً أو هلعاً

تُغمدُ خنجرها في أجسادٍ لا تحملنا

لا تحمل وزر مصائرنا

ما همّ..

فللأفراح أمام منازلنا لونٌ قُزَحيٌّ

لا يشغله العلمُ القادمْ.

قُلْ للأرض بألاّ توقظ روحي

بزنابقها وشرانقها الرّعناءْ

فعلى أدراج الغيب القادمِ

في أردية السّلم

يهيل النصرُ المشحونُ

على دمنا ومواجعنا

ترفَ الإشعاعْ

ما ضرّ فبعض المعدن لا يتهدّل موتاً

والله كفيل بعقولٍ يصقلها «برلنتُ» العصرْ

بورك للحكمةِ.. ترفع للفطنة رايتها!

مرحى

ما ضرّ لو انسرب الموت الخصبُ المدفونُ

فبين هزائمنا وعزائمنا

يتلألأ ياقوتُ نفايات العلمِ

بأشرعة سوادهْ

ماذا لو تأخذها سفنٌ سكرى؟

ماذا لو يُرجع أصحابُ النصرِ

النصرَ إلى أهْليهْ؟

فأيُّ دمىً تتداعى الآنَ

لتقتل ألف غزالٍ برّيّ

يربض خلف الوقتِ

ويرجو هرباً من وطنٍ

لا يؤوي زرزوراً

أو نرجسةً تمتدُّ إليهْ.

ويلٌ للعلم.. وويل للعلماءْ

ساعة أن شقّ الشومرُ سطحَ الأرضِ

بغبطة خضرتهِ

زاحم أزهار المنثورْ

حطت فوق الحَوْر طيورٌ صفراءُ الذيلِ

تصيخ السَّمْعَ لصوتِ نسيمٍ

يتلو همس ضفافٍ سكرى

شق جنونٌ وثنيٌّ أقواس العلمِ

بحربِ نجومٍ من سمتِ نَيازكَ

لا تعقلها آلهةٌ

تصعد أدراج فناءٍ أزليّ

يتوعّد وجه الصبح وغصن الكرز البريّ

فاجعة تتوعد كوكبنا الأرضيْ

أتلو هلعي

قبل خيار الصفْر... وعاصفة الصحراءْ

قبل الزلزال المرئيّ اللامرئيْ

يوم تجردتِ الأغصانُ على مسرحها

قطعاً قطعاً

وتفحمت الأسماءُ... نفوساً لا أكفانَ لها

في البركانْ

والناسُ الصلصالُ المسفوكينَ

على مقصلةِ العلمْ

تذرفهم أغنيةٌ سكرى في التلفازْ

من أغشية دمها لا يعرف دورتهُ.

أتلو فَرَقي

ونشيج القلبِ

وأعرف أن صهيل الجنّ المغزول بروحي

يُمهل... لا يُهمل وجهَ الأرض

لا يأتي بشفاعة صاروخ أو قدّيسٍ

يعرف كيف أصاب خيارُ الصّفرِ

زهورَ الفل وأحشاءَ الأطفالْ
وانفجر الوحشُ الأحمر بركاناً
في فُوَّهةِ العلمِ المحكمةِ التصويبْ
لم يعصمني عصفورٌ جاب بلادَ الوحشةِ
خلف سياجٍ يرفعه الغرباءُ
وآلهةُ الضعفاءْ
فليدخل لمديحِ عواصمَ
لا يكفيها سفكُ دمي
في كأس نبيذٍ بين خواتمها السوداءْ

يا خنجر ريحٍ ذاهبة الظلّ
يا غمد حطام الطعناتِ الرطبة في الأحشاءْ
أُشهر ذاكرة النخْل أمام الجوعِ
وقهقهة الآجرّ الواقفْ
فلعلّ جريد النخل يحدّث عن أممٍ
جاءت تدفن وقتاً لا يحكيها.

فأقيموا ملحمتي فوق بروج العالمْ
جلّ خلودي من جلجامشَ
حتى بغداد الوجع المصقولْ
أُوقِظُ كلّ إلهٍ نام على هيكله ترفاً
في قيلولة دهرٍ لا ينسى الأسماءْ
أرفع قلبي وأضمُّ ربيعاً أينع بالطعناتْ
يندلق النجْمُ وتصغي رئةُ الأرضِ
وينتفض السرخس في الأعماقْ.

سيدتي المنفوخة باليورانيوم... بالمعدنِ
ما تستنفده المختبراتُ
بشرنقة الموتْ
سأصبُّ على قدميك الطِّيبَ، مياهَ الزهرِ
وأمسح شعري
فارتفعي آلهةً تعلن تقويمَ العالمِ
بعد الطوفانْ.

بعضٌ من غضب امرأة جاست بحرَ الموت مديداً
ثم انثالتْ من غمد النارِ بموكبها
من لهب الطيش الساحرْ
لا يثقلها الموتُ الخاسرْ
توأمها الوحشيّ الحاضر دوماً
كمكيدة طفلٍ أحمقْ

المجد لِهيْبتها
المجد لصدرٍ يستحق غزو العدوان الأسودْ
ويحيل زعاف السم رحيقاً
ما دامت هرطقةُ العصر تغنّي للموتِ
مديحَ معادِنها وزبرجدها
وتجهّز أرضاً لحروب مترفةٍ
وتضنّ شكيمتها أن تهرق نبضاً
يتنفس سرَّ نواةِ خلايانا
ويضيء الحدّ الفاصل بين العمر وبين العمرْ
يصنع أكسيراً يربط «نبتون» بغصنٍ أخضرْ

أقدار تأكُلنا.. نأكُلها
هل كان زُعافاً أو أحجيةً حمقاءْ
رُبَّ نوازلَ، رُبَّ صواعقَ، رُبَّ هزائمَ
ربَّ نواة شعاعٍ.. طيشٌ أخرقَ
حبٌّ مجنونٌ للوطن المارقْ

يا لسلام يدخل سرّ مجونِ خلايانا
لصباحٍ يرفع عنّا هذا الغيبْ
يا لضياء يرسمنا بشراً بنشيد أخضرَ
يصدحُ أنّا... أنّا..
فلهم نحن كفطرٍ مذعورٍ
شُبهةُ أجسادٍ لا تصلح إلا للصيدْ
لسنا غير نفوسٍ أثخنها موتُ كراماتٍ
ودروعٍ تخلع عنها حتى الأيامْ

دعنا نبرم ميثاقاً عفوياً كغصون الصفصافْ
نطلق كلَّ قرانا من وجعِ الأصفادِ
كرفّ طيورٍ
نحزم خضرتنا وسنابلنا،
نحلجُ أصواف مواشينا،
ونلمُّ عوالمنا عن طوفان العلم الأسودْ
ببريق حوامضه ومعامله
ومزامير سلالاتٍ كطبول الغاباتْ
أوجعنا الحبُّ
دعونا نجترُّ أغانينا حتى الأفراحْ
ونغني: ديمونا... ديمونا... ديمونا.

باريس (فلسطين)